

## وردة العرب

هى السيدة وردة الشاعرة المشهورة بنت قطب زمانه الشيخ ناصيف اليازجى رحمه الله وشقيقة العلامة الفاضل الشيخ إبراهيم اليازجى. ولدت فى بيروت وتلقت العلوم الابتدائية فى المدرسة الأميركانية السورية ثم قرأت على المرجوم والدها، وكانت على حداثة سنها ذات ذكاء غريب وفكر متقد قالت الشعر فى سن الثالثة عشرة، ولها نواذر كثيرة من بواذر قريحتها التي كانت تدل على مستقبلها دلالة تباشير الصبح على الشمس.

وليس العجيب فى الملكة العربية التي كتبت فيها بل فى بلوغها، وهى لم تقرأ على مدرس شيئاً من العلوم النهائية التي تقتبسها اليوم إلى الدرجة التي صاعدت فيها همم الكبراء من الشعراء من حيث الأساليب فى رصانتها وامتانتها وسلامتها من الشوائب التي تؤخذ على كثير من شعراء هذا الأوان، ومن حيث معانيها التي تقبلها على كل الصور وتبتدعها فى كل نوع من أنواع الحكمة والمديح والرثاء، مما يتجدد به قديمها ويعذب فى الأذواق والأفهام ويعجب له اللبيب المتفنن.

وقد عزمت فى كلامى عن هذه السيدة أن أصفها بما فى صورتها الأدبية، أى شعرها من مظاهر أخلاقها التي تنفرد بها عن أكثر النساء، كما انفردت بالنظم عنهن جميعاً متمثلة فى ذلك بقولها لإحدى السيدات:

يا من جلت در لفظٍ جاء يخبرنا  
عن لطف خلقٍ أتى فى الناس بالعجب

وهى طريقة لا أخشى عنها التكذيب، ولا أرمى بالمبالغة والغلو ولا أتهم كما يتهم سواى من المترجمين فى زيادة شىء لها من عند نفسى، وهى خلومنه وقد بلغنى ممن عرفها واستفاد من أحاديثها حيناً من الزمن بأنها ذات حصافة فى الرأى وجد فى القول ملطف باللين وتهذيب العبارة وبصيرة بالحكمة فى أسرارها والانسجام والسهولة

فى تصوراتها بحيث يأخذها منها السمع كأنها بديهية وهى عين الغرابة.

وتراها مع كبر نفسها وشرف مقامها الأدبى كثيرة الاتضاع حتى لو ذكرت لها حسنة من حسناتها لكنت تظنها جاهلة لها على حد قول المتنبى:

كرماً فلو حدثته عن نفسه  
بعظيم ما فعلت لظنك كاذبا

أما تربيتها لأولادها فكاملة جرت بها على ما أرادته سليقتها الصحيحة وعرفتة بمجرد ذكائها، فشبوا على دماثة فى الأخلاق واتضاع ورضانة فى القول والعمل، وأما معيشتها فغاية فى البساطة، فتمر الأيام وهى تفتح لكل فجر العين التى ينبغى أن تنتظر حوادثها بها، وتجاوز طريق العمر دون التفات إلى ما لا يستفاد منه ولها ديوان صغير الحجم لكنه جامع نفائس من درر نظمها غار الدهر أن يحلى بها هذا العصر، فلم يسمح أن يقلد بها جیده، وأنى فيما أرى القارئ من أبياتها الآن لا أرىه إلا قول الصبا ومقتبل الشباب، وكنت أتمنى لو أقابل مبلغ شعرها وهى فتية وبين مبلغه الذى كان مقدراً لها مع التقدم فى السن والخبرة والمطالعة، غير أنى اكتفى بما فى السير دليلاً ما كان فى القوة، وأسأل القراء العارفين الذين أطلعوا على ديوانها بم تفوتها الخنساء فى الرثاء إلا بعد المراثى وبم يسبقها الشعراء فى مقامات المديح والتهنئة وما شاكلها من أغراض الشعر إلا بما هو أليق بالرجال، ولا يأتى على لسان المرأة وأى واعظ كان أصيب واعظاً منها فى قولها:

يا حاسباً دنياك دار قرار  
أقصر عنك فتك الأم دار  
لا تستقر بها النفوس ولا ترى  
قلباً بلا غم ولا أكنـدار  
أو فى قولها:

زود النفس قبل شد الرجال  
إن هذه الحياة طيف خيال

وأصبحن التقى أمامك مصبا  
حأ لتجلو ظلام تلك الليالي  
إن فعل الصلاح للناس أولى  
نخره من ذخائر الأموال  
ليس هذى الدنيا بدار قرار  
إنها دار وقفة وارتحال

وانظر إلى مراتبها فى ذوبها تعلم صحة قول العالم أن القلب بئر لا يدرك غوره  
الإحساس فيها، فإنك لا تتلو المرثية الأولى حتى تقول لم يبق للقلب ما يقول إذ أناب  
مصاب ثاب، وقد قالت فى رثاء أخيها حبيباً:

يا عين وردة فى الأسفار والأصل  
أبكى لفقد حبيبٍ عنك مرتحل  
ويا سلو ابتعد عن مهجتي أبداً  
ويا دموع انزلى كالعارض الهطل  
ثم قالت فى رثاء والدها العلامة المرحوم الشيخ ناصيفاً:

تكاثرت الأحزان فى كبدى الحرى  
وزادت دموع البين فى عيني الشكرى  
وجارت على ضعفى الليالى وأوقدت  
بطى فؤادى من نوائبها جمـرا  
فقدت أبى مالى وللعيش بعده  
فموتى من عيش غدا بعده أحرى  
حياته الحزين القلب موتٌ وموته  
حياةٌ يلاقى عندها الراحة الكبرى  
ثم قالت ترثى المرحوم أخاها نصاراً:

ويلاه ويلاه كم نشكو ونتنحـب  
وكم علينا صروف الدهر تنقلبُ  
وكم تجور الليالى فى حوادثها  
على فؤادٍ بنار الحزن يلهبُ  
قد أشعل البين فى قلب الحزين لظى  
يزيده دمع عيني وهو ينسكبُ  
روحي فدى من به أيدى القضا نشبت  
سهامها بل بقلبي الهم منتشبُ

ثم قالت ترثى شقيقة لها:

متى تترك الأيام دمعى لا يجرى      وقلبي المعنى لا يبيست على جمر  
وهل تنسين ما مضى من مصائبٍ      ينوب لها الصلد الأصم من الصخر

فليتأمل القارئ بعد هذه الأبيات من قصائد شتى كيف كان الحزن لا يطرق قلب هذه الشاعرة إلا أودى منه زناداً للبلاغة أو أجرى منبعاً للفصاحة فى مقام يضل فيه الرشد وينبض القلب نبضاً مشوشاً للحياة، فلا يتمالك معه من الوزن الرجل، فكيف المرأة وأما فى المديح الذى نظمته هذه السيدة فلا أصف شيئاً بل اكتفى بما قالت:

تدقق فى منازلنا السرور      مساءً حين شرفها الأمير  
وضاعت بهجةً كالصبح لما      تجلى فوقها القمر المنير  
فلو قدرت ربوع حل فيها      لكانت نحو ملقاه تسييرُ

وقالت:

تجلى وجه مريم يوم عيدٍ      فكان هناك عيدٌ فوق عيدٍ  
جميلة منظر قد تم فيها      جمال الطبع من لطفٍ وجودٍ

وقالت فى الإمبراطورة أوجينى:

فى الشرق شمس للنهار نظيرها      فى الغرب شمس ليس يغرب نورها  
إن لم تزر هذه البلاد فقد أتت      منها مكارمها العظام تزورها

وقولها:

إن كنت تبغى الوصف غير مفندٍ      فالهج بأوصاف الأمير محمدٍ

علم لقد جمع الفضائل شخصه فأعجب لجمع حاصل في مفرد

من قولها في الوصف لديوان يسمى حلية الطراز:

هذه حلية الطراز أتت من مصر تزهو بالؤلؤ المنظوم

حلية للعقول لا حلية الوشى وكنز المنطوق والمفهوم

وقالت في جواب رسالة:

يا نسمة من أرض وادي النيل وردت فاطفت بالسلام غليلى

هي نسمة من روح أكرم روضة يحيى شذاها روح كل عليل

ومن عجيب ما أتت به قولها تاريخاً لإنشاء جمعية خيرية في سوريا:

وكذاك قال الله في تاريخه من يرحم المسكين يقرض ربه

ولها من المنظومات والتواريخ كثير وقفت عند هذا الحد من ذكر بعضه، فاسأل للشرق أن يتم عليه نعمته في هذه الأيام بكثيرات يهتدين بنور تلك النجمة اليازجية التي خلدت لها ذكراً جميلاً وكفاها فخراً بأنها امرأة فاقت الرجال وبارت الغربيات في أنبل مجال.

لحضرة الكاتبة الفاضلة الأنسة استير ازهرى في بيروت

### «الفتاة»

أهلاً بزائرة وافتنا ترفل بحل أبهى من استبرق خوى وأجمل من ديباج صنعاء وتزدهى بحلى ما ازدهت بمثلها حسناء، وهي الفتاة أتننا سحراً تعطر أرجاعنا بعبير أنكى من الورد والخزام، وتنثر علينا من الألفاظ آيات بينات حاكت السحر الحلال رقة